مسرحيون بلا مسرح

داخل محطة مترو المعادي، وفي جو غلب عليه الطابع التراجيدي؛ بسبب ما تمر به مصرنا الحبيبة من «كرب» في ظل سيطرة الجماعة الإرهابية على مقاليد الحكم، فوجئت - كما غيري من الركاب - بعدد من الشباب يطلبون منا مشاهدة عرضهم المسرحي – الوطني لمدة 15 دقيقة فقط.

التفَّ بعض ركاب المحطة وأنا منهم بالطبع؛ بالإضافة إلى مسئولي المحطة وأمنها حول الشباب (طلبة بجامعة القاهرة) تشجيعًا لفنهم ووطنيتهم ونظامهم ورقيهم في الحديث.

وخلال ثوانٍ معدودة، تَقمَّصَ أحدهم شخصية الزعيم الخالد جمال عبد الناصر بإتقان غير عادي، فخطب يقول:

- أيها الإخوة المواطنون، أولاً يجب التأكيد على أن «الإخوان ما لهمش أمان»، ثانيًا تعلمون جيدًا أنني اعتليت هذا المنصب من أجلكم، من أجل الفقراء والمساكين، من أجل الفلاح والعامل، من أجل المطلقة والأرملة، من أجل «نهضة» مصر الزراعية والصناعية والنووية والعلمية وليست «النهضة» التي تحدَّثَ عنها «الإخوان».

ويضيف:

- يكفيني بشهادة كل المصريين أنني أنشأت السد العالي، وأمَّمْتُ قناة السويس، وجعلت التعليم بالمجان، وأنصفت الفلاح بقانون الإصلاح الزراعي، كل ذلك وغيره قمت به من أجلكم دون وصاية من أحد، كما أنني لم أنسَ قضايانا الخارجية.

وفي أثناء تقليد هذا الشاب المفوه لخطاب الزعيم الخالد، رأيت عددًا من الركاب يتذكرون هتاف الشعب عندما قالوا لناصر وقت إعلانه التنحي عن السلطة عقب نكسة 1967:

- ابقَ، فأنت حبيب الشعب.. قم للشعب فبدِّلْ يأسه.. أنت الخير وأنت النور وأنت الصبر على المقدور.

وتَقمَّصَ الشاب الثاني شخصية «السادات» بظله الخفيف، وثقته اللامحدودة في نفسه وشعبه، والبايب في يده، فقال مبتسما:

- باسم الله.. تعلمون جيدًا أنني عبرت بالبلد من عنق الزجاجة إلى انفتاح اقتصادي وعلاقات عالمية، جعلت من مصر بؤرة اهتمام دولية، وبصرف النظر عن هذه الأمور، يكفيني أنني حررت سيناء في حرب أكتوبر 1973، ثم عقدت اتفاقية السلام مع العدو الإسرائيلي.

وأردف:

- ورغم أنني أعلم جيدًا أنها ليست آخر الحروب، إلا أنني جنَّبْتُ مصر أية حروب على الأقل لمدة 50 عامًا قادمة، والشيء الوحيد الذى ندمت عليه هو اختياري للنائب محمد حسنى مبارك.

وهنا هتف الركاب له أيضًا، ورددوا أغنية فايدة كامل:

- «قوووول.. قول يا سادات.. يا اللي كلامك حكم».

ثم وقف شاب ثالث، وبدا عليه إتقان صوت وحركات الرئيس السابق (مبارك)، فخطب في الشعب منكسرًا، وقال:

- الإخوة والأخوات، تعلمون أنني صاحب الضربة الجوية الأولى في حرب العاشر من رمضان رغم أنف المشككين والمغرضين في ذلك، كما تعلمون فإنني أنجزت مشروعات عظيمة خلال فترة حكمي، منها على سبيل المثال:

- مترو الأنفاق.. أعدْتُ لكم طابا بالقانون لا الحرب. الإخوة والأخوات، صحيح أنني ظلمتكم وأفقرتكم وأمرضتكم، ثم تركت رجالي ينهبون ثرواتكم، وكنت أنتوي توريث نجلي حكم البلاد، لكنني لم أكن أنتوي أبدًا تقسيم مصر إلى شيع وفرق مثلما عليه الوضع الآن.

- الإخوة والأخوات، بعد مرور أكثر من عامين على الثورة، هل أعجبكم حكم الإخوان؟؟ لقد حذرتكم وحذرت الأمريكان منهم ومن مؤامراتهم، لكن جميعكم لم تصدقوني، والآن اشربوا نتيجة ثورتكم على شخصي وتاريخي وأسرتي ونظامي.

وما إن انتهي مُتقمِّص شخصية مبارك من كلمته، إلا وفوجئت بشابة جميلة وسط هؤلاء الزهور تغني للمطرب محمد العزبي بآلة موسيقية تشبه إلى حد بعيد آلة السمسمية البور سعيدية:

- «اخترناه اخترناه.. واحنا معاه لما شاء الله».. كما رفعت فتاة أخرى ورقة مكتوب عليها «إحنا آسفين يا ريس»!!

بعد هذه المشاهد الرائعة وتشجيع الركاب للشباب وسعادتهم اللامتناهية بهم، تَقمَّصَ شاب رابع دور مرشد الجماعة الإرهابية د. محمد بديع، وهو يخطب بكلام نصف مُبهَم، وتحمل الكلمة الواحدة التي تخرج من فمه أكثر من معنى،

فيقول:

- باسم التنظيم العالمي للإخوان المسلمين، باسم الأهل والعشيرة، «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم».. الأهل والعشيرة، لقد أفشلنا ثورة 25 يناير التي راح ضحيتها أفضل شباب مصر كما تعلمون، فعلنا ذلك تقربًا إلى الله؛ للوصول إلى حكم البلاد والتحكم في رقاب وأرزاق ومصائر العباد، فعلنا ذلك من أجل التنظيم الدولي الذي ينتشر في 88 دولة، أهلي وعشيرتي، لا تصدقوا جبهة الخراب ولا تقرءوا أو تشاهدوا الإعلاميين «الكذابين»، ولا تلتفتوا إلى الخراب الذى تشهده مصر الآن.

ويكمل:

- أهلي وعشيرتي، منذ نشأة الجماعة 1928 وحتى قبل الثورة كانت السجون بيوتنا، وبلاد الغير أوطاننا، والآن حان الوقت لنجني ثمار تهميشنا وغربتنا وآلامنا، أهلي وعشيرتي، لا تصدقوا إنجازات عبد الناصر ولا انتصارات السادات، ولا طلعات مبارك الجوية أو إعادته لطابا. تذكروا فقط أن هؤلاء اعتقلونا وعذبونا وحرمونا من المناصب، وتذكروا أيضًا أننا من صنعنا ثورة 1952، وخططنا لحرب 1973، ونحن كذلك من قمنا بثورة 25 يناير.

- الأهل والعشيرة، اليوم فقط آن لنا «أخونة» ما تبقَّى من الدولة بكل الوسائل الشرعية وغير الشرعية (بالمناسبة، حلو كلمة الشرعية دي؟ ركزوا عليها قوي؛ لأننا سنحتاجها، وسنستعملها كثيرًا وقت اللزوم)، وبعد أن أخذنا الضوء الأخضر من أمريكا، واعترفنا بالاتفاقيات مع إسرائيل آن لنا أن نكشف عن مخططنا و...

ويختتم الشاب على لسان «بديع» متشفيًا في وطن سلبوه كرامته، ومواطن طعنوه بخنجر الغدر والخيانة في خاصرته، فيقول:

- الأهل والعشيرة، لم يبقَ لي غير أن أهنئكم بما وصلنا إليه.. وأنصحكم

بالرجوع إلى حديث المرشد الأسبق المستشار مأمون الهضيبي عندما قال في مناظرته بمعرض الكتاب عام 1992: نحن نتقرب إلى الله بأعمال التنظيم الخاص للإخوان!! فلا تلتفتوا لكل ما يحدث في مصر من مصائب، فما زال أمامنا أعمال مهمة في «88» دولة ينتشر فيها التنظيم.

بعد كلمة مرشد الجماعة، اصطف الشباب بجوار بعضهم بعضًا، وانحنوا للركاب الذين شاهدوهم احترامًا وإجلالاً، فما كان من الركاب إلا أن عبروا عن سعادتهم بالثناء والتصفيق الحار للشباب أكثر من 10 دقائق متواصلة.. انتهى.